	١٩١١	١٩١٢
في لندن	١٩٦٢٠٦٠٠٠ جنيه	٢١١٦٣٧٠٠٠ جنيه
« باريس	١٨٧٨٤٠٠٠٠ «	٢٠٣٦٨٠٠٠٠ «
« برلين	١٧٣٣٠٠٠٠٠ «	١٧٦٠٠٠٠٠٠ «
« نيويورك	٣٥٨٧٦٩٠٠٠ «	٤٦٤٨٠٢٠٠٠ «

وابتدأت السنة وحكومة الصين تطلب مئتين مليون جنيه واعطيت في الشهر الماضي ٢٥ مليوناً منها . والملايون القيمون في هذه المواصم يرسلون اموالهم الى اقطار المسكونة فتعود عليهم بالربح الكثير ويستخزون الجنود والبوارج لحماية مصالحهم . ولا نبالغ اذا قلنا ان مئتي مليون من الرجال يعملون الآن ويكدحون في اوربا واسيا وافريقية واميركا لنمو مئة الف من اغنياء اوربا واميركا . ولكن ميزان المعاملات في يد هؤلاء الاغنياء فاموالهم بُنيت السفن البخارية وانشئت السكك الحديدية واقيمت المعامل الصناعية وارتقت العلوم الطبية والطبيعية وقلت المشاق والمظالم والمغارم . والدول التي يكثر اغنياؤها وتكثر اموالهم هي التي تستمرُّ ويحمى جانبها ويخشى بأسها ويرجى خيرها

التعليم في اميركا

انشأت هذه المقالة لافادة القراء واخص منهم الاحداث واطلاعهم على احوال المدارس التي عرفتها اثناء اقامتي في الولايات الاميركية المتحدة . تركت الديار السورية في تموز (يوليو) سنة ١٩٠٦ قاصداً احدى المدارس في العالم الجديد . وبعد وصولي الى بوسطن بشهر دخلت احدى المدارس العالية (High School) في ولاية ماين حيث قضيت سنتين في الاستعداد لدخول مدرسة كلية . وكانت دروسي هنالك آداب اللغة الانكليزية والجبر والهندسة والطبيعيات والافرنسية والالمانية مع قليل من اللاتينية . وفي سنة ١٩٠٨ دخلت جامعة « كلارك » (Clark University) وهي جامعة صغيرة مختصة بعلم السيكولوجيا ورئيسها الدكتور ستانلي هول (Dr. Stanley Hall) وهو من اشهر المتضلعين في علم النفس واسمهُ معروف في جامعات المانيا كما في جامعات اميركا . وكان على كل تلميذ في جامعة « كلارك » ان يقضي خمس ساعات في درس اللغة الانكليزية وخمسا اخرى في درس

احد العلوم كالطبيعيات والرياضيات والكيميا وعلم الحيوان والنبات وما اشبه وعشر ساعات في درس لغتين اجنبيتين وهي اما اليونانية مع اللاتينية او الفرنسية مع الالمانية . وتقبل الايطالية مع الاسبانية لكي تتمكن العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والجمهوريات اللاتينية كالبرازيل والارجنتين . والتلميذ حرية تامة في اختيار دروسه عدا هذه الثلثة — اي الانكليزية واحد العلوم المحضة مع لغتين اجنبيتين . واما انا فاخذت الدروس الآتية

(١) الطبيعيات

(٢) البيولوجيا

(٣) الكيميا

(٤) والسيكولوجيا . وهذا يشمل علم التهذيب (Education) ودرس الاطفال (Child Study) والظواهر غير الاعتيادية كالتنويم والهستيريا والاختلال العقلي

(٥) الاقتصاد مع قليل من الاحصاءات (Statistics)

(٦) المنطق

(٧) آداب اللغة الانكليزية مع عناية خصوصية بدرس الشعر في القرن التاسع عشر

(٨) تاريخ الولايات المتحدة والقرون الوسطى . والتاريخ الجاري (Current History) وشرائع الامم (International Law) مع التفات خصوصي الى اعمال مؤتمر السلام في لاهاي

(٩) الفرنسية

(١٠) الالمانية [1]

وبعد هذا خصصت سنة لعلم التهذيب وتدبير شؤون المدرسة في «قسم المعلمين» (Teachers' College) في جامعة كولمبيا في نيويورك

يقضي التلامذة هنا اربع سنوات في الكلية غير ان جامعة كلارك مع قليل من الكليات تسهّل ابناء دروسها في ثلاث سنوات تُقضى في الجد وسهر الليالي

والشبان هنا يفتخرون بالعمل . وكثيرون منهم يحصلون كل نفقاتهم اثناء درسهم . والبعض يساعدون اهلهم فوق ذلك . اما انا فلاني فقير مثل اكثرهم دفعني العوز الى الجدّ ومجاراة رفاقي في اعمالهم . فخدمت على الموائد وجرفت الثلوج في الاسواق واشتغلت في المعامل

(١) لا يعطون اللغات الاجنبية كما نعطيها نحن بل يدرسونها للقراءة لا للاستعمال . فنادر من يتكلم الفرنسية الا من قد درس في فرنسا

وخدمت في المخازن والمكاتب فكنست غرفها وغسلت شبابيكها الى غير ذلك . غير انني توفقت في الثلث السنوات الاخيرة الى وكالة بيع ادوات المطبخ لشركة عظيمة (The Aluminum Cooking Utensil Co.) استخدمتْ اثناء الصيف الماضي الفاً وتسع مئة تلميذ من جامعات الولايات المتحدة وكندا . وهي لا تدفع اجرة معينة للتلاميذ بل تعطي كلاً منهم خمساً واربعين في المئة من ثمن ما يبيعونهُ . واما طريقة بيع هذه الادوات فهي هكذا : يخرج التلاميذ في اول تموز (يوليو) ببضعة مساطر كابار يق القهوة والحلل الصغيرة وما شاكل ويدورها لربات البيوت . ثم ترسل الطلبات الى الشركة وفي خلال شهر توزعها على بيوت المشترين . اشتغلت ثلث صيفيات مع هذه الشركة وكنت اكتسب من خمسين جنيهاً الى مئة جنيه كل صيفية . وليست هذه الشركة الوحيدة التي تفعل ذلك بل عندهم شركات غيرها تبيع الكتب والخرائط والصور وما شاكل . ولولا هذه الوسائط لصعب على مثلي التخرج في جامعات اميركا بدون اقتراض الاموال الكثيرة . وهكذا قمت بكل نفقاتي من بيع آنية الالومنيوم في عطلة الصيف والخدمة على الموائد وقت المدرسة . ويعطى كل خادم مائدة اكلهُ مقابل خدمته و يبلغ ذلك نحو جنيه في الاسبوع

النفقات

تتوقف نفقات التلميذ على مقدار ثروته وسخائه . غير انهُ يلزم للطالب المقتصد نحو مئة وعشرون جنيهاً في السنة يدفع منها ثلاثين جنيهاً للتعلم والبقية ينفقها على طعامهِ وكتبهِ ولباسهِ (هذا معدّل نفقات الجامعات التي في الولايات الشرقية . اما الغربية والجنوبية منها فارخص) ومما يساعد الطلبة فضلاً عن عملهم ريع اموال يوقفها اغنياء البلاد ومحبو العلم لاعانة الذكي الذي لا مال لهُ . وتسمى هذه المساعدات « تلميذيات » (Scholarships) والغالب ان تكون التلميذية مئة وخمسين ريالاً اي رسم التعلم . وقد يكون في الجامعة اموال يستدينها التلميذ بربا خمسة او ستة في المئة ويوفيها بعد انتهاء دروسهِ . اما احسن المساعدات فما يسمى (Fellowships) والمساعد يسمى (Fellow) وهي تعطى لانجب التلاميذ اقتداراً بنجابتهم . وهذه الجائزة تكفي نائلها سنة كاملة يقضيها في جامعة شهيرة اما في اميركا او اوربا او اسيا

منازل الطلبة

طلبة الكليات التي ليست في المدن يسكنون في ابنية معدة لهم يقال لها مساوم (Dormitories) فيها ينامون ويأكلون ويلهون . ولكل واحد غرفة جميلة مزينة بالصور

والرسوم المضحكة واعلام عدة جامعات وكليات ومدارس . والتلميذ حرية تامة فلا يحجبهُ عن المرتبات الا ناموسهُ وشرفهُ وتربيتهُ وكبر نفسهِ . فينام ويقوم ويأكل ويدرس ويلعب حيثما يشاء وحينما يريد . هذا في الكليات التي في القرى حيث يضطر الجميع ان ينزلوا في المناوم . اما في المدن فكثيرون يحضرون الدروس فقط ثم يدبرون بقية شؤونهم في الاكل والشرب والنوم . فتكون عيشتهم على طرز القسم الطبي في كلية بيروت . وعرفت البعض منهم يُمد طعامهُ بيدهِ اذ لا دراهم لهُ لدفع ثمن الطعام

وحكي عن شاب في جامعة هارفرد (Harvard) كان يكتفي بريال واحد في الاسبوع لاكله وهو ربع ما يكفي التلميذ عادة

روح مدارس اميركا ومحيطها

لا مشابهة بين المدارس الاميركية ومدارسنا الشرقية . هناك تعزز النفوس وهنا تُذل . معلمو المدارس الاميركية يربّون رجالاً احراراً ذوي عقول مولدة مستقلة يركن اليها في كل زمان ومكان ولا يقبلون قول احد بلا فحص وتدقيق . ذكاؤهم على الاجمال لا يفوق ذكاء الشرقي غير ان محيطهم يختلف وللمحيط تأثير عظيم في نفوس البشر ولاسيما الصغار . محيطهم اسمى وانقى وارقى . والانسان يكوّن محيطهُ على نوع ما فهو ليس عبداً لهُ . مدرسو اميركا يدربون صغارهم على التفكر والتعقل . واما نحن فاكثر معلمينا يدربوننا على استظهار الايات والقواعد والاقوال ولتلاميذ غير معقولة تعدم الحياة العقلية وتقتل كل جراثيم الفكر . يتعلم الاميركي الاستقلال واختراع الطرق والاساليب الجديدة في حداثتهِ . يحل عملية الحساب او الجبر او الهندسة بطريقة غير التي في كتابهِ . الاستقلال — مبدأهم — الاستقلال في الفكر والقول والعمل — فلا يهاب التلميذ معلماً ولا الخادم سيداً . وقد تطرف بعضهم في الاستقلال حتى انتقدهم مهذبو اوربا . روح اميركا ديموقراطية محضة ولو دب الفساد في بعض قصور الاغنياء . فهم يحملون لسان حالهم ينشد

ان التقي من يقول ها انذا ليس التقي من يقول كان ابي

وما اكره على شبيبة اميركا ان يذكر الانسان اصلاقهُ . لا قيمة للتكبر عندهم . فمن شمخ وابدى الكبرياء احتقرهُ الجمهور ولو كان غنياً . وكثيراً ما يسبق اولاد الفلاحين والفقراء ابناء ذوي الثروة والجاه . فترى التلميذ الذي يدفعهُ فقرهُ الى الخدمة على المائدة زميل لعيتهِ الفت بول (Captain) وفي اسمى رتبة ينالها طلبة تلك البلاد

استقلالهم في شؤونهم

ما اكثر تداخل المعلمين عندنا في شؤون تلامذتهم وما اندرهُ عندهم · يتدرب الاولاد في العالم الجديد على تولي امور انفسهم وعلى التمرن على العمل حسب المبادىء الدستورية · يبدأون ذلك في ارض الفت بول (كرة القدم) وفي منتدياتهم المختلفة · هم ينتخبون قادتهم ومدبريهم فيطيعون ويعملون كأنهم رجال محنكون · وان خالف احدهم القوانين المسنونة عارضهُ الجميع · وعندنا يستأذن التلميذ معلمهُ لعمل ازهد شيء ويشتكي الى معلمهِ على اقل تعدٍ من رفاقهِ اما هناك فيتجنَّب الشكوى الى معلمهِ مهما اساء التلامذة اليهِ

اشتهر الاميركي اشتهار اخيهِ الانكليزي بحب الالعاب الجسدية · يقضي طلبة باريز وبرلين معظم اوقات فراغهم في الشرب والبراز والملاهي اما الطلبة الاميركيون فيقضون وقت الفراغ في لعب الكرة والمصارعة والوثب والسباق وهلم جرًّا · فتراهم نشيطين ذوي قابلية شديدة وطبع لطيف واخلاق دمثة ديموقراطية · للالعاب عندهم شأن كبير يكاد يفوق الشؤون العلمية · فللاعب النشيط القوي الجسم اعتبار يفوق الاعتبار الذي ينالهُ السابق في الدروس فيصبح بطلاً يشار اليهِ بالبنان · قيل عن بعض الكليات انها كانت تدفع كل نفقات اللاعب الماهر لتغريهُ بالمجيء اليها وتتغلَّب على مناظريها في الالعاب

طلبة الاجانب عندهم

الهيئة الاجتماعية في اميركا مؤلفة من طبقات متفاوتة في اتساع معارفها وحسن تهذيبها وسمو غاياتها · فمنها طبقة ذات ادراك عجيب ومهارة غريبة في جمع الاموال ولكنها غافلة لا تهمها الاَّ الامور المادية فهي ترسل صبيانها الى المدارس لا لتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم بل لاعدادهم للاشغال ولسلب الاموال · وتبقى بناتها في القصور لا عمل لهنَّ غير الانتباه بالاوبرا والرقص والتكلم عن هذه وتلك وعن الازياء الباريسية · اولئك لا تهمهم تربية الاخلاق وتهذيب النفوس · الهم الذهب ومعبودهم الملاهي · اما الطبقة الوسطى فلها بموقف مستقبل اميركا — وذلك يصدق على الطبقة الوسطى في كل انحاء العالم — هي طبقة راقية متهذبة · لا يقال عنها انها غنية بل مكتفية · دخل الواحد منها يزيد قليلاً على نفقاتهِ · واعضاء هذه الطبقة يسكنون البيوت البسيطة المرتبة · واولادهم هم الذين يملأون الكليات والجامعات وعليهم محور كلامنا · وهم العاملون بحسب المبدإ (Noblesse oblige) · معاشرتهم طيبة تشرح الخاطر وتطيب القلب

بقي ان نأتي الى الطبقة الثالثة وهي تشمل العمال وهم الذين يملأون المعامل والطرق

حيث لا تزيد اجرة الواحد منهم عن اثني عشر ريالاً في الاسبوع . واغلب اعضاء هذا القسم من المهاجرين الفقراء الاغبياء . هذه هي الطبقة التي بعرق جبينها يحصل الغني ويجمع الثروة . اما تلاميذ الكليات من هذه الطبقة فقليلون لا طويلا بل لقلة وسائطها لان الوالدين يشغلون الاولاد قياماً بالمعيشة

مقام كل فرد في اميركا غالباً يتوقف على نفسه . وهذا يشمل الاجنبي ايضاً . والمقام يختلف قيمةً العقلي وقيمةً الاجتماعي وقيمةً المالي . اما المقام العقلي فالاجنبي في اعلى درجاته وهذا لا يعني ان ابناء الاجانب يفوقون ابناء الاميركيين كلاً ولكن طلبة الاجانب هم نخبة بلادهم واما الطلبة الاميركيون فغير منتقين . وكثيرون من الفرباء يدخلون مدارس الولايات المتحدة وهم يجهلون طباع الاميركيين وعاداتهم ومنهم من لا يهتم كثيراً بمعرفتها . فعلى الاجنبي ان يدرس طباع رفاقه ويتنبس احسن اعمالهم ويغرم بالعابهم ويتقن لغتهم ويراعي ذوقهم فان فعل ذلك عدوهُ واحداً منهم ونسوا انهُ اجنبي . واما من لا يخالطهم فيبقى عندهم اجنبياً كل ايامه

معاهد تلك البلاد ملأى من الصينيين واليابانيين . وعدد تلامذة اميركا الجنوبية والهند واوربا آخذ في الازدياد واما السوريون فلا يزداد عدد تلامذتهم بازديادهم في اميركا حتى ان الارمن صاروا اكثر من السوريين في كلياتها . لم يكن في جامعة كولمبيا في نيويورك اثناء العام الماضي سوى سوريين مع انهُ كان فيها خمسة واربعون صينياً واكثر من عشرة من الارمن

الشرق محتاج الى مدنية اميركا اكثر مما هو محتاج الى مدنية اوربا . ولقد احسنت الحكومة العثمانية بارسال خمسة شبان (٤ اتراك ويونانياً) على نفقتها الى جامعة كولمبيا . ويا حبذا لو كثر عدد الذين يذهبون الى ذلك المعهد لكي يتلقوا العلوم ثم يرجعوا الى وطنهم لاعانة اخوانهم في طلب العلى والتمدن الحقيقي

روح اميركا افضل لنا لانها ديموقراطية عملية ترفع شأن كل واحد من غير نظر الى نسبهِ وجنسهِ ومالهِ . كل احد هناك يعتمد على كدهِ وهذه الروح تميت الكسل وتحيي النشاط والعمل . وما احلى النشاط السوري لو نفخت فيهِ الروح الاميركية الحقيقية . ليت بنينا وبناتنا يذهبون الى اميركا لكسب العلم لا لكسب المال . وليت متهذبي شبابنا وشاباتنا يرجعون الينا ليعينونا على الفتك بجيوش الجهل والخمول

خليل طوطح